شبه جزيرة سيناء

دراسة تاريخية حتى نهاية العصر المملوكى

بقلم

دكتور

أحمد الحفناوى

أستاذ التاريخ الاسلامى

أرض مباركة ، تلك المنطقة التى اختارها الله عز وجل ، لتدور عليها تلك الحوارات الفكرية فى البحث عن ذاته ، ففوقها تحاور الفكر المصرى القديم ، ينظر إلى السماء ويأخذه البحث إلى مخلوقات الله التى تحمل قدراته فيعبدها ، ثم يتردد عندما يرى قصورها ، وفوق الأرض نفسها ، سارت خطوات الأنبياء والرسل ، خطا فوقها إبراهيم الخليل ، أبو الأنبياء هرباً من العراق إلى مصر بحثاً عن أرض صالحة لدعوته ، وفوقها ، مشى يوسف الصديق ، يحمله التجار بعد أن انتشلوه من البئر ، ليبيعوه فى مصر ، وتبعه أبوه يعقوب ، بعد أن أصبح يوسف وزيراً ، ثم كانت خطوات موسى عليه السلام فوق أرض سيناء هرباً من فرعون مرة ، ثم عائداً إليها يحمل دعوته ، بعد أن دار أعظم حوار بين الله الخالق العظيم وبين موسى الإنسان ليتلقى كلمات ربه ، ولتكون رسالته للناس بنزول دين .

هكذا ظلت سيناء مهبطاً للرسالات وطريقاً لخطوات الأنبياء والمرسلين .

* * *

سيناء الأرض والإنسان :

يطلق اسم « سيناء » على رقعة الأرض التى تمتد على شكل مثلث ، ترتكز زواياه الثلاث على رفح وبور سعيد فى الشمال ، ورأس محمد فى الجنوب ، والضلع الشمالى من بور سعيد إلى رفح يمتد على مساحة تزيد قليلا عن ٢٠٠ كيلو متر . أما الضلع الشرقى فيبدأ من رفح مارا ببئر المغارة وتميلة والقطارة إلى رأس طابا على خليج العقبة ، ثم يسير بمحازاة الخليج إلى رأس المثلث فى النقطة المسماة « رأس محمد » .

وأما الضلع الثالث من بور سعيد غرباً إلى « رأس محمد » جنوباً ، فإنه يخترق خطا بمحازاة قناة وخليج السويس .

ومحيط سيناء متكون من ١١٠٠ كيلو مترا : ٢٠٠ على البحر المتوسط ، ٢٦٠ كيلومترا بمحازاة قناة السويس ، ٢٤٠ كيلو مترا بمحازاة خليج السويس ، ١٦٠ كيلومترا بمحازاة خليج العقبة ، ٢٤٠ كيلو مترا فى الخط الفاصل الشرقى ، وتبلغ مساحة شبه الجزيرة فى مجموعها ٤٠٠٠٠ كيلو مترا مربعا .

وقد اختلف المؤرخون حول أصل كلمة : سيناء ، فقال بعضهم : أن معناها « حجر » ، أى بلاد الأحجار ... وقال البعض الآخر : أن الاسم مأخوذ من كلمة « سين » ومعناها بالعبرية « القمر » لأن أهالى تلك المنطقة كانوا يعبدون القمر .

غير أن هذا التفسير غير مقبول ، إذ أن كلمة «سين» لاتعنى فى العبرية « القمر » ، وإذا فرض أن أخذها اليهود من لغة أهل البلاد ، فلا يعقل أن يكونوا قد أعطوا تلك التسمية لجبل الرب .

والتوراة لم تستعمل كلمة سيناء لتعريف المنطقة ، بل أطلقت على شبه الجزيرة اسم « حوريب » أى الخراب ، واكتفت باطلاق هذا الاسم على أحد الجبال .

وأما عند قدماء المصريين ، فلم يكن اسم سيناء معروفا وليس فى استطاعتنا التأكيد بصفة قاطعة من الاسم الذى أطلقوه على تلك المنطقة .

وقد عبر عنها القدماء أحيانا بكلمة « شوشوبت » ، أى أرض الرمال وأحيانا أخرى اكتفوا بتسميتها « ساحة الفيروز » أو « بيت سينفرت » .

وقد عرفت أرض الطور منذ القدم باسم « ريثو » ، وأطلق على السكان اسم « شاسو » .

وفى الآثار الأشورية عرفت شبه الجزيرة باسم « مجان » ، وفى

النحوت الهيروغليفية للأسرة الحاديه عشرة ، ورد اسم « طنجهت » لتلك المنطقة ، واستعملت فى نصوص أخرى كلمة « بياونت » .

على أن بعض علماء الآثار حاول تفسير كلمة « سيناء » بأنها مشتقة من « سفدو » ، فالأحرف المنحوته على أحجار سرابت الخادم تشير إلى عبارة « صفدو » وهذه الاله هو أول من يقابله المصرى العائد إلى وادى النيل ، ويفسر ذلك وجوده فى شبه الجزيرة .

فهل « صفدو » أصل كلمة « سيناء » ؟

إنه إذا صح ذلك ، يكون الاله « صفدو » قد أعطى اسمه للمنطقة التى يبدأ منها المصرى رحلته إلى كنوز الفيروز والنحاس .

* * *

ومنذ فجر التاريخ كان العنصر العربى فى تلك المنطقة ، فحمل ذلك تارة إلى تصوير الاله « صفدو » على شكل الاله « هور » — « وفعلا أخذ الاله أحيانا شكل صقر — وتارة على شكل رجل ملتح على رأسه شعر مستعار مربوط برباط من الخلف ويحمل ريشتين وفقا لشكل الصنم الذى كان يعبده رجال الصحراء(١) .

وأطلق الاغريق على المنطقة كلها اسم « أرابيا بيترا » أى بلاد العرب الحجرية ، وظهرت تلك التسمية فى مؤلفات الجغرافى بطليموس ، وأطلقت على كل الأراضى الواقعه جنوب غربى بادية الشام .

ومهما يكن من أصل التسمية ، فالذى يهمنا هو أن تلك المنطقة — سواء كان اسمها « ترشويت » أو « رايتو » أو « سيناء » أو بلاد العرب الحجرية أو « صفدو » — كانت تربطها بوادى النيل روابط قوية تجعل منها جزءا مكملا لها ، وذلك بالرغم من أن سكانها كانوا يختلفون عن المصريين فى أسلوب المعيشة اختلاف البدو عن أهل الحضر .

وسيناء فى كلتا الجهتين هى الطريق المؤدى إلى الحضارة يطرقه المهاجرون من أهل الصحراء إلى بلاد الرفاهية والثراء ، ويطرقها رجال الوادى إلى حيث يجدون نوعاً آخر من الثراء المدفون فى وسط الصحراء .

فالصحراء الممتدة بجانب مصر الثابتة تؤكد الوجود المصرى بتأثيره الخالد العميق الذى يجلب إليها البدو ، وينظر إليها أولئك الرحل بعين الإعجاب والحسد .

وتعتبر سيناء حصن مصر المنيع وطريق الغزوات سواء منها ما جاءت من آسيا إلى أفريقيا أو التى تحركت من مصر إلى فلسطين وبلاد الشام ، وقد وصفها نعيم شقير : « بأنها قنطرة النيل إلى الأردن والفرات... »(٢) .

كما أنها أدت دوراً هاماً فى تاريخ مصر منذ مهد التاريخ . . . ولكن بالرغم من تلك الأهمية الحيوية ، يندر من يعرف عنها أكثر من اسمها ! !

فالمتعلمون من العرب اكتفوا بتداول بعض المعلومات الأولية ، مختلطة ببعض الأساطير على مر الأجيال ، كما دونتها الكتب القديمة .

فإذا ماوصل إلى علمهم : أن شبه الجزيرة أرض جرداء بها جبال شامخة تشقها بعض الوديان ، ويقطنها بعض الأعراب الرحل ، قنعوا بذلك ووجدوا فيه الكفاية ! !

وإذا أضافوا إلى تلك المعلومات بعض ماجاء فى الكتب المقدسة وردوها دون إمعان ، اعتبروا أنفسهم من العارفين بكل الخفايا ! !

* * *

على أن أول محاولة لوضع خريطة لشبه الجزيرة ترجع إلى القرن الثالث، وهذه الخريطة أصلا كانت خريطة لطرق الإمبراطورية الرومانية والعالم

القديم رسم عليها رسم لروما سيدة العالم ممثلة على شكل شاب جميل يرتدى رداء الإمبراطور ويمسك بيده الكرة الأرضية .

وقد وضح فيها خليجا العقبة والسويس فى موقعهما الصحيح كما ظهر جبل سيناء فى موقعه المعروف الآن ، وفيما عدا ذلك لم تشر الخريطة إلى شىء .

كانت هذه الخريطة مسلكا للعالم بوتنجر وهى بدار الكتب بفينا وطولها ٦ أمتار ، ٨٢ سنتيمتراً ، وعرضها ٣٤ سنتيمتراً ، قسمت إلى ١٢ قطعة هلكت منها القطعة الأولى .

وفى القرن الحادى عشر تقريباً ظهرت خريطة باسم « بياتس » وضح فيها كلمة « سينوس أرابيكوس » ، أى سيناء العربية . ووصف الكتاب العرب موانى البحر الأحمر ، فذكروا موانى كاثوم وآيلة ، وفى سنة ٩٧٧ نقل ابن حوقل ما كتبه من قبل ابن خرداذبه الاشتارى ، وذكر المسعودى أن موسى قاد اليهود فى صحارى التيه ، وكتب لأول مرة اسم « شعيب » ووصفه بأنه عربى وهو كاهن مدين ، وأما ابن إياس فقد أضاف اسم « بركة غرندل » ، وظل الكتاب العرب يتناقلون الأسماء ، وفى سنة ١١٥٣ نقل الإدريسى فى نزهة المشتاق ماسبق أن ذكره المسعودى ، وتبعه ابن جبير فى سنة ١١٨٣ وياقوت الحموى سنة ١٢٢٦ فى كتابه معجم البلدان وشمس الدين الدمشقى مرددين نفس التفاصيل دون إضافة شىء جديد(٣) .

وفى القرن الرابع عشر أعد « مارينو سانودو » عدة خرائط أوضح فيها لأول مرة دير سانت كاترين . . ويعتبر مارينو أول من وضع خطة للاستعمار الأوربى للسيطرة على مصر ، ففى كتاب له أهداه إلى البابا الكاثوليكى فى روما سنة ١٣٢١ ، اقترح على الدول المسيحية احتلال مصر نظراً لموقعها الجغرافى ، ووضع خطة عملية للقضاء على إمبراطورية المماليك »(٤). وكان غرضه الأساسى من الدعوة إلى هذا العمل العدوانى هو

قطع الطريق بين التجار العرب الذين كانوا يوصلون بضائع الهند إلى عدن حيث يدخلون البحر الأحمر إلى خليج السويس أو إلى الطور، ومن هناك تحمل القوافل تلك البضـــائع إلى الاسكندرية حيث يتسلمها التجار الإيطاليون ولاسيما تجار البندقية ، ولايخفى على الباحث الدور الهام الذى كانت تمثله سيناء بالنسبة لتجارة الشرق الأقصى مع أوربا .

فى هذا الوقت ظهر كتاب أبو الفدا فى الجغرافيا ، وبعد قليل تلاه كتاب ابن خلدون(٥) ، وأضيفت فى هذه المؤلفات بعض الملاحظات عن الترعة التى تربط السويس بالنيل ، وعن ميناء أيلة والشواطىء المتاخمة لخليج العقبة .

ويلاحظ فى خريطة « جاستالدى » التى ظهرت فى القرن السادس عشر الميلادى ، أنه قد سجل فيها : جبل سيناء وفيران والطور ، كما وصفها الكتاب العرب ، إلا أنه بالرغم من ذلك كانت الخرائط الأوربية متخبطة فى تحديد الأماكن ففى بعضها ظهرت الطور فى نهاية الخليج الشرقى ، وفى البعض الآخر ظهرت « فيران » مكان « الطور » . ولم تذكر تسمية « رأس محمد » إلا مؤخراً فى القرن الثامن عشر الميلادى ، كما لم تظهر عيون موسى وغرندل على الخرائط على الضفة الغربية إلا فى هذا القرن .

وظلت الأمور على حالها إلى أن نشرت بعثة بالمر الخريطة المشهورة لسيناء سنة ١٨٦٨ م وكانت تشمل :

١ — خريطة عامة لشبه الجزيرة .

٢ — خريطة جيولوجية .

٣ — خريطة للمنحدر الغربى حتى الجبال المحيطة بدير سانت كاترين .

٤ — مجموعة خرائط منفصلة لوادى فيران وجبل السربال .

كل تلك الجهود لم تكن كافية ، فقد ظلت طرق كثيرة فى شبه الجزيرة غير معلومة .

وقد ظلت خريطة سيناء طوال هذه المدة تفتقر إلى الدقة ، لأن خط التجارة البحرية القادم من المحيط الهندى كان يمر من الناحية الغربية ، نظراً لأن المدخل الشرقى كان ضيقاً لا يلفت الانتباه ، فكانت تهمله البواخر القادمة من باب المندب إلى السويس .

ومنذ خريطة « بيترى » سنة ١٩٠٥ م توالت خرائط موضوعة على أسس علمية كاشفة جميع النواحى الجيولوجية والطبيعية لشبه الجزيرة تقريباً .

وتنقسم شبه الجزيرة من الوجهة الجيولوجية إلى :

١ — بلاد العريش فى الشمال .

٢ — بلاد التيه فى الوسط .

٣ — بلاد الطور فى الجنوب .

وتختلف طبيعة كل جزء منها اختلافاً كلياً .

فبلاد العريش : عبارة عن سهول شاسعة الرمال فى جزء صالح للزراعه ، وقد أطلق عليها المؤرخون العرب(٦) اسم « الجفار » لكثرة الجفار « جمع جفر » ، وهى الآبار الواسعة التى لم تبن بالحجارة ، وأهم فروع وادى العريش هى : وادى أبو متيقنة ، ووادى الرواق ، ووادى البروك ، وقد جاء ذكر وادى العريش فى التوراة تحت اسم « وادى مصر »(٧) .

وبلاد التيه : عبارة عن حائط هائل يكاد يكون مستحيل العبور ومنحدر تدريجياً نحو الشمال ، وتتكون من سهل عظيم جامد التربة ، تتخلله بعض الجبال ، ويفصل بين هذه المنطقة والمنطقة الثالثة سلسلة من الجبال تعرف بجبال التيه .

أما بلاد الطور : فأشهر جبالها : جبل طور سيناء وجبل موسى وجبل المناجاة ، وجبل سرابيت الخادم ، وهذا الجزء من شبه الجزيرة مساحته ١٦ ألف كيلو متراً مربعاً ، وهو الأكثر وعورة فى سيناء ، بل فى العالم .

ومناخ شبه الجزيرة جاف تشتد فيه البرودة شتاء والحرارة صيفاً ، وتنبت فيه الفواكه والمحاصيل ، حيث توجد المياه بسهولة . وأهم الأشجار فى سيناء « النخيل » حيث يكثر فى العريش وبلاد الطور ، وكذلك يوجد « الدوم » وقد قدر عدد النخيل فى أوائل هذا القرن بحوالى مائة ألف نخلة(٨) .

كذلك توجد الفواكه : كالعنب والرمان والبرتقال واللوز والخوخ والتفاح والمشمش ، وفى حدائق دير سانت كاترين تنمو كل تلك الأصناف. ويزرع عرب سيناء على المطر الشعير والقمح والذرة الرفيعة . كما أن هناك أعشاب برية ترعاها الابل ، وهناك من الحيوانات الأليفة فى شبه الجزيرة: الابل والخيل والحمير والبقر والغنم والكلاب ، وأكثر الحيوانات إنتشاراً هى الغنم من الضأن والماعز . أما الحيوانات البرية فأكثرها انتشاراً : الذئب والضبع والثعلب ، وتوجد بكثرة أنواع من الحمام البرى . وفى العريش « ذبابة الإبل » ، وهى طويلة الأجنحة وسامة إذا ما لمست الجمل قتلته أو هزلته ، وقد ظلت شبه الجزيرة أجيالا طويلة مهملة رغم الامكانات الهائلة التى تتمتع بها ، وقد آن الأوان ، لدراسة هذه الامكانات والبدء فى استغلالها على الوجه الأكمل .

* * *

ولا شك فى أن أصل سكان سيناء يرجع إلى العنصر العربى ، فكلمة « عرب» فى اللوحات الأشوريه تعنى شعباً من الرحل يعيش فى الصحراء، وفى مؤلفات الاغريق جاء ذكر عربى ، كقائد جيش أحد ملوك الفرس، ويطلق هيرود توس ومن بعده الكتاب الاغريق والرومان على كل سكان شبه الجزيرة وعلى سكان صحارى مصر اسم « عرب » : ويبدو أن لفظ « عرب » أطلق على جميع الشعوب الناطقه باللغات السامية فى كل الشرق الأوسط »(٩)، وتتكلم الكتابات النبطية والآرامية عن امرىء القيس فتصفه

بأنه ملك كل العرب . أما أقدم القبائل الأصلية ، فهى : الحماضة والتبنية والمواطرة ، والحماضة ، يجتمعون فى وادى « فيران » ، وهم أسياد البلاد الأصليين ولا يزيد عددهم عن بضع عائلات . أما التبنية فتقطن بلاد الطور ، وأما المواطرة فربما كانوا بقية نصارى «فيران» .

وقد دخلت هذه القبائل وغيرها فى حمى العرب الفاتحين وأخذت لغتهم وديانتهم وعاداتهم . ولجأوا إلى المغاور والكهوف فى منازل محكمة البناء من الحجر والطين تعرف عند العرب « بالنواميس » ، ولا يزال بعضها قائما إلى اليوم .

وكانت بعد العصر الفرعونى قد تكونت فى شبه الجزيرة عدة ممالك أشتهرت فى التاريخ — إلا أنها وإن كانت عربية أصلا ، تأثرت بالحضارة الآرامية الإغريقية ، وأول تلك الممالك النبط التى أنشأت دولة تمتد من خليج العقبة إلى البحر الميت شمالا ، ويدخل فى حدودها شمال الحجاز .

وقد اعتنق بدو سيناء الإسلام غير أنهم يؤمنون إيماناً راسخاً بالأولياء ، فكلما مات منهم شيخ اعتبروه رجلا صالحاً وبنو له ضريحاً محلى بقبة ، ومع ذلك فإنهم يكتفون بذكر اسم الشيخ ، ولا يعرفون شيئاً عن ذكرى سيرة الولى أو أعماله وفضائله .

وكان فى العريش تقليد : يقدم فيه البدو للبحر الذبائح ، ولا شك أن هذا التقليد يرجع إلى عهد الوثنية ، حيث يقيمون احتفالا بعد الربيع سنويا يزورون فيه البحر بخيامهم ومعهم خيلهم وغنمهم ويغسلونها بماء البحر ، ثم يذبحون الذبائح ويرمون رؤس الذبائح وأرجلها وجلودها فى البحر قائلين عند رميها « هـــذا عشاك يا بحر !! » أما باقى اللحم فيطبخونه ويأكلونه ويطعمون منه المارة .

وعلى نصف ساعة من العريش غابة صغيرة ، يزورها البدو للتبرك وهم ينيرونها ويودعون عندها حبالهم وأشياءهم .

وبجانب تلك الأساطير الوثنية التى تأثرت بها البيئة الإسلامية فى سيناء، هناك معتقدات امتازت بها كافة المجتمعات البدائية .

وقد حاولت الحكومة فى مصر محاربة هذه المعتقدات وتلك الأساطير فى بعض مناطق سيناء كمدن : الطور والعريش وغيرها ، بإنشاء المدارس والمساجد ، ولكن يبدو أن البدو فى شبه الجزيرة بوجه عام — فى عصر ما بعد التحرير — فى حاجة ماسة إلى زيادة الاهتمام بشئونهم والتركيز على قضاياهم .

. . .

بدأت مصر فى استغلال معادن سيناء والتوغل فى مجاهلها منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وكان السكان الأصليون نفرا من الرحل المتنقلين بين الأودية بحثا عن الرزق يمشون حفاة ، ويشدون أوساطهم بالأحزمة ، وكانوا يتاجرون مع مصر تجارة بدائية ، وكثيرا ما كانت قبائلهم تغير على الأراضى المصرية فينهبون الأطراف الخصبة الملاصقة للصحارى ، ثم يفرون بغنائمهم إلى مجاهل الرمال المترامية .

وهناك من النصوص القديمة ما يثبت أن مصر كانت تأويهم إذا ما جاءوا سالمين ، ففى لوحة من ملوك الأسرة الأولى نشاهد بعض البدو يلتمسون قبولهم بمصر ، وقد أعياهم الجوع فيقرر فرعون ايواءهم ، وفيما يلى نص القرار :

أولئك البدو حل محلهم آخرون ضربوا ديارهم وأحرقوها .
يلجأون إلى جلالة العظيم رافع سيفه إلى الإمام .

قائلين : أن بلادهم فى قحط مدقع حتى أنهم يعيشون مشردين كحيوانات الصحراء . ويأمر الملك قائلا : أن عددا من البدو جاءوا إلى بلاد فرعون لأنهم لايستطيعون العيش وقد أواهم . وفقاً للتقاليد الموروثة من آباء الآباء » (١٠).

وقد أدى هذا إلى تسرب عدد كبير من سكان وادى النيل إلى شبه الجزيرة مما كان له الأثر فى خلق صلات وثيقة بين مصر وسيناء ، ولما عثر الأهالى الأصليون على الفيروز والنحاس والحديد استحضروا كميات منها إلى مصر وباعوها فى مقابل الحصول على المنتجات الزراعية ، فكان هذا أول تبادل تاريخى ، كما كان مصدر إهتمام مصر بسيناء ، ومنذ عهد الأسرة الأولى بدأت الحملات المنظمة إلى شبه الجزيرة ، فما كادت تتوحد مصر شمالا وجنوبا فى ظل حكم ملكى قوى حتى بدأت الحضارة المصرية تتطور وتتجه بسرعة إلى إستغلال موارد سيناء .

ومنذ عهد الأسرة الحادية عشرة تمصرت سيناء تمصيرا تاما ، فعلى صخرة بالمغارة نجد الملك شاخصا أمام إلهى سيناء « توت » و « هاتور » ونقرأ العبارة الآتية :

« فى تلك المغارة وجد الفيروز اللامع » .

وكانت هاتور الالهة الكبرى التى يعبدها الجميع ، ولقبت شبه الجزيرة بلقبها حين تقرر تلقيبها « بسيدة الفيروز » ، فهل كانت هاتور سيدة السكان الأصليين وآلهتهم ؟

وكانت الطرق التى استخدمها المصريون إلى سيناء بحثا عن التعدين وعن الفيروز هى :

١ — الطريق البرى بمحازاة الساحل الشمالى والجنوبى لخليج العقبة .

٢ — الطريق البحرى من خليج السويس .

٣ — عبور الصحراء الشرقية حتى البحر الأحمر ، بالمراكب إلى ساحل سيناء .

على أن أول طريق سلكوه هو الطريق البحرى . . وعلى مر الأيام بدأت طرق جديدة تسلك فى أنحاء سيناء على يد النبط . ومنذ هاجم الهكسوس الأراضى المصرية واحتلوها ، ظهرت إلى النور حقيقة مركز سيناء كخط دفاعى لمصر ، ومنذ ذلك فهم الفراعنة الدرس القاسى ، فكانت استراتيجية ملوكهم تتلخص فى :

« هاجم حتى لا تهاجم . انقل الحرب إلى ما وراء سيناء حتى لا تضطر إلى الحرب فى داخل وادى النيل .. » . بدأت الحملات العظمى التى خلدت ذكرى فراعنة الأسره الثامنة عشر والتاسعة عشرة والعشرين ، وظلت فكره مد النفوذ المصرى — من سيناء — إلى فلسطين وسوريا متسلطة على مصر ، وانتهى بذلك عهد الاكتفاء ببناء الأهرامات والهياكل الضخمة لتقديس الآلهة والتفرغ إلى الفنون والحياه الزراعية الرغدة السعيدة . . ودخلت منذ ذلك التاريخ البعيد ميدان المنازعات الدولية ، واحتلت سيناء — بذلك — مركزا كبيرا فى « الاستراتيجية » المصرية .

سيناء قبل الإسلام

امتزجت العقائد المصرية والسامية فى شبه الجزيرة ، وكان التقليد الدينى فى الطقوس موجوداً قبل سيرة بنى إسرائيل ، فقدس الأقداس يقابله فى معبد « سرابيت الخادم » والكهف والقدس يقابله الهيكل ودار الخيمة يقابلها دار الهيكل ، كذلك كانت الطقوس التى تستعمل فى المعبد المصرى طقوسا سامية يألفها شعب موسى .

والاختلاف الوحيد الذى لاحظه الباحثون ، هو أن باب خيمة موسى كان يتجه إلى الشرق لا إلى الغرب ، كما كان الحال بالنسبة لمعبد سرابيت الخادم فالمصرى كان يعبد الآلهة بالطقوس السامية ، ولكنه كان يوجه وجهته نحو بلاده ، أما موسى فكانت وجهته الشرق بحثا عما يسمونه « أرض الميعاد » . . .

وجاء هيكل سليمان ليبنى بعد خمسمائة سنة تقريبا على غرار الخيمة ، ويحملنا هذا على الاعتقاد بأن هيكل سليمان صمم على نموذج معبد سرابيت الخادم » . . .

والواقع أن امتزاج العقائد السامية بالمصرية خلق تراثا مشتركا ، حاول الإسرائيليون طوال تاريخهم التخلص منه بدون فائدة . . وكان وقوفهم ضد العناصر السامية الأخرى التى امتزجت بالحضارة المصرية سببا فى عزلتهم وسط هذه المنطقة التى بثوا فيها الحقد والكراهية .

ومع اضمحلال الحضارة المصرية بدأ الفراغ يخيم على سيناء التى لم يعد يحميها الجيش المصرى من الغزوات ، فظلت حاجزا بين مصر وبين باقى الشرق ، وأثناء هذا الفراغ برزت قصة بنى إسرائيل عائمة بين التاريخ والأساطير . .

ولا جدال فى أن خروج سيدنا موسى بقومه العبرانيين هربا من بطش فرعون يعتبر خروجا عظيما فى تاريخ البشرية ، فلقد خرج بدين لكن هذا الخروج لم يكن الخطوات الأولى لنبى ، لقد كانت هناك خطوات أخرى سبقته ، ويرتبط اسم سيناء باسم سيدنا موسى عليه السلام إرتباطا وثيقا ، فلا يذكر اسم سيناء إلا ويتداعى إلى الذاكرة اسم الرسول الكريم ، ولا يذكر اسم سيدنا موسى إلا ويتداعى إلى الذاكرة أيضا اسم سيناء ، فإليها خرج بقومه . وفوق أرضها ناجى الله وتحدث إليه ، وفوق أرضها أيضا خانه قومه وتركوا عبادة الله الواحد وعبدوا العجل ، لذلك تعتبر سيناء واحدة من أهم الأماكن التى شهدت على مدار تاريخها أحداثا دينية هامة ، فقد هاجر إليها سيدنا إبراهيم الخليل بقومه ـ كما سبق أن ذكرنا ـ حوالى عام ١٩٢١ ق . م ، ولذلك هاجر إلى مصر عبرها سيدنا يوسف الصديق واخوته وأبوه سيدنا يعقوب عليه السلام .

ان خروج سيدنا موسى كان — تبعا لما ورد فى التوارة — حوالى سنة ١٤١٩ ق . م ، لأن سيناء شهدت كثيراً من الأحداث الدينية ، فقد ورد اسمها واسم « جبل سيناء » ٤١ مرة فى الكتاب المقدس ، بينما ورد اسم « جبل سيناء » أو « جبل حوريب » ١٨ مرة و « جبل الله » ٦ مرات . . .

كذلك وردت قصة سيدنا موسى ومولده وتعبده ودعوة قومه إلى عبادة الله فى الكتب المقدسة كلها : فى التوراة والانجيل .

ولد سيدنا موسى فى مصر ، وحمل إسما مصريا هو « مو » ومعناها « ما » و « أوسيس » ومعناها انتشل أو التقط من الماء . . ولقد انتشلته ابنة فرعون أو زوجته من النيل عند « المعادى » خلال فترة اضطهاد فرعون لبنى إسرائيل الذى كان يقتل أطفالهم ويستحى نساءهم . .

ربته ابنة فرعون ، فدرس جميع الفنون المصرية والعلمية والدينية

والفلسفية ، ويقول الكتاب المقدس فى ذلك : فتهذب موسى بكل حكمة المصريين ، وشب وأصبح رجلا ، ثم جاءت حادثة الشجار التى مات فيها رجل بيد موسى ، ففر من مصر إلى أرض « مدين » التى تقع فى الشرق من شبه جزيرة سيناء ، وهناك تزوج من إحدى بناتها ، وأقام حوالى عشر سنوات إلى أن كلفه الله بالنبوة ، لقد حدثت الواقعة التى بدأت منها رحلته إلى الله ، ثم دعوته إلى الدين الجديد ، كان موسى يرعى شياة صهره ، فوصل إلى مشارف جبل سيناء ، وهناك تجلى الله له فقد رأى نارا فقال لقومه ، كما ورد فى الكريم « لعلى أتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك ، فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى » . .

وكما جاء فى التوراة « أنا إله أبيك ، إله إبراهيم وإله اسحق ، وإله يعقوب ، فستر موسى وجهه وخاف أن ينظر إلى الله ، فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون ، وتخرج شعبى من بنى إسرائيل من مصر » .

وقد ذكر الباحثون أن عدد الخارجين من الرجال كان ٦٠٠ ألف عدا الأولاد ، وبدأت رحلتهم من مدينه « رعميس » فى شرق الدلتا عبر سيناء ، حتى وصلوا إلى أرض « كنعان » وهى فلسطين فى أربعين عاما .

كانت نقطة البداية فى رحلة الخروج من شرق الدلتا هى محافظة الشرقية ، وكانت تعرف وقتها بأرض « جاسان » أو « جوشن » ، وكانت من أخصب أراضى مصر ، وتمتد من أبى زعبل إلى البحر الأحمر ، وهى كثيرة المراعى ، وقد أعطاها سيدنا يوسف عليه السلام — بعد أن أصبح وزيراً لفرعون مصر — لأبيه يعقوب وإخوته فسكنوا فيها هم وذريتهم من بعدهم حوالى ٢١٥ عاما ، وبعد ذلك عبر موسى بقومه العبرانيين البحر الأحمر ، وكان يسمى بحر « سوف » ، وتمثل حادثة شق البحر على يد موسى معجزة الخروج ، يذكر التوراة : « إذ قال الله لموسى إرفع عصاك

ومد يدك على البحر وشقه ، فمد يده على البحر فأجرى الله البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة ، وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم ، فعبر الشعب إلى سيناء » . وكانت « مارة » هى أول موقع نزلوا فيه واسمها الآن « بئر المر » وفى هذا الموقع تذمر بنو إسرائيل على سيدنا موسى ، فضرب موسى الأرض بعصاه فانفجر نبع ماء مر المذاق ، فألقى فيه موسى بشجرة أراها له الله ، فصار الماء عذبا ، ورحل العبرانيون بعد عبورهم البحر من الشرقية إلى سيناء إلى مكان يسمى « ايليم » ومعناها « أشجار النخيل » ، وقد وجـــد فيها موسى ١٢ عينا للماء وسبعين شجرة نخيل ، ويرجع المؤرخون أن يـكون مكان « إيليم » هو واحة « وادى غرندل » حيث ينابيع الماء على بعد ٦٣ ميلا إلى الجنوب الشرقى من مدينة السويس ، ويرجحونها أيضا أن تكون هى نفسها « عيون موسى » الحالية ، حيث توجد ١٢ عينا للماء بالفعل حيث يطلق عليها البدو « واحة النخيل » .

استمر العبرانيون فى رحلتهم إلى أن وصلوا إلى جبل سيناء الذى يقع جنوبى شبه الجزيرة ، وقد بلغوا الجبل بعد ثلاثة أشهر من خروجهم من مصر ، ومن « رافيديم » رأى موسى جبل سيناء » و « رافيديم » هى « وادى سدر » الآن ، وفى جبل سيناء أعطى الله لموسى ولبنى اسرائيل الوصايا العشر ، وجميع شرائع الطقوس والعبادات وعاش بنو إسرائيل عاما تحت سفح الجبل ، حيث مارسوا حياتهم وفى نفس المكان صنعوا عجلا من الذهب وعبدوه ، فغضب الله عليهم .

غير أن شكوكا كثيرة لا تزال تحيط بخطوات سيدنا موسى فوق أرض سيناء ، وقد غـــرق كثير من الباحثين فى شتى الاحتمالات والاستنتاجات لتحديد الطريق الحقيقى الذى سار فيه اليهود خلف موسى خارجين من مصر ، ومعظم الدراسات التى أجريت أما أنها كانت متحيزة

تماما أو يصعب إثبات صحتها ، لكن أحداً لا يختلف على بداية الرحلة إلى نهايتها ، حيث توفى سيدنا موسى على المشارف الشمالية للبحر الميت فى الأردن ، أما تفاصيل الرحلة ونقط التوقف كما ذكرتها التوراة ، فيصعب تمييزها بدقة على الخرائط الحالية وإن كان هناك طريقان يرجحهما المؤرخون :

* الطريق الجنوبى الذى يجتاز خليج السويس جنوبا إلى قلب سيناء . . .

* الطريق الشمالى ، ويمكن أن يكون العبرانيون قد عبروا فيه منطقة البردويل ، ومضوا نحو الشرق ، ثم جنوبا إلى جبل « الحلال » الذى يرى البعض أنه « جبل موسى » ويلتقى الطريقان — الشمالى والجنوبى — معا فى منطقة « عين القديرات » ، ولكن أين على وجه التحديد عبر العبرانيون البحر ؟ ! ! وأين كانت واقعة شق البحر .

أول المواقع التى ترجحها كتب الخروج يقع قرب السويس أمام عيون موسى ، ويرجح أن يكون موقع شق البحر مسطحا مائياً صغيراً فى نقطة عند المضيق الذى يفصل البحرين المتوسط والأحمر .

وقيل : إنه ربما كان « البحيرات المرة » أو بحيرة المنزلة ، أو ربما بحيرة البردويل فى الشمال ، وهذا الافتراض الأخير امتداد لنظرية الطريق الشمالى لخروج اليهود الذى يسير بمحاذاة ساحل البحر المتوسط شمالى سيناء ، ويرجح البعض أن سيدنا موسى لجأ إلى الطريق الشمالى تفاديا لنقط المراقبة المصرية لفرعون فى سيناء على الطريق التقليدى فى الجنوب . .

وكما اختلف المؤرخون فى طريق موسى اختلفوا أيضا فى عدد العبرانيين الذين خرجوا معه ، فقد جاء فى التوراة أنهم ٦٠٠ ألف رجل

وعائلاتهم بجانب قبيلة «ليق» وعدد كبير من الأتباع، وهو ما يرتفع بالرقم الى ٥ر٢ مليون ، الا أن معظم المؤرخين يرون أن هذا الرقم مبالغ فيه ، ويعتقدون أن كلمة « ايليف » — بعد الرقم ٦٠٠ — التى تترجم الى ألف ، ربما كانت تعنى أسرة ، وهذا يعنى أن الخروج كان يضم ٦٠٠ أسرة وأتباعهم وهذا يحدد رقم الخروج بأقـــل من ١٥ ألف شخص ، وهو رقم يمكن قبوله ...

وهناك نقطة لا تزال تشغل بال المؤرخين .. من فرعون موسى ؟

وطبقا لرواية التوراة ، فقد وقع عذاب بنى اسرائيل فى عهد فرعون ووقع خروجهم فى عهد فرعون آخر ، ودلت القرائن على أن رمسيس الثانى هو فرعون الاضطهاد والعذاب ، وشاع بين المؤرخين والباحثين أن «مرنبتاح» ابن رمسيس الثانى هو فرعون الخروج ، لأنه تولى العرش بعد أبيه احمس ومن اللافت للنظر أن اليهود حاولوا صبغ أساطيرهم بصبغة الحقيقة ، وأضافوا إلى نصوص الخروج بعض التفاصيل فى محاولة لاقناع القارىء بصحة مزاعمهم ومنذ قيام المسيحية تتراكم الكتب والبحوث العلمية عما سمى برحلة بنى اسرائيل وتغربهم بها مدة أربعين سنة .

وقد أثر هذا الحدث على تاريخ الانسانية أثرا عميقا ، والحق أننا لا نملك — بجانب ما جاء فى الكتب المقدسة — أى دليل قاطع يؤيد لنا وقوع كل الأحداث التى جاء ذكرها فى التوراه ، ولإلقاء بعض الضوء على هذا الموضوع لا بد من العودة الى تاريخ تحرير التوراة وتطور تحرير النصوص الواردة بها ، ومن الواضح أن هناك عهودا ثلاثة تعرض لها الكتاب المقدس ، ولعبت فيه الأساطير اليهودية دورا هاما :

* عصر إبراهيم ..

* عصر موسى ..

• عصر السبي الى بابل . .

فاذا علمنا أن التوراة كتبت أثناء السبى الى بابل وجدنا أنه قد مر بين وقت تحرير الكتاب المقدس وعصر ابراهيم ما يزيد على ١٣٠٠ سنة ! !

وإذا علمنا أيضا أن العصر الأول مشترك مع كل العناصر السامية .. لأنه مستقل بذاته ، وليس له أية صلة بموسى أو باليهود أو التوراة ، فرض علينا البحث فرضا أن هذا الجزء من التوراة مصدره محرف ..

وهذا يفسر ما جاء فى القرآن من القول بأن ابراهيم لم يكن يهوديا ، بل كان آراميا ونادى بالوحدانية فى الوقت الذى لم يكن هنا لك أثر لليهود .

وفى العصر الثانى جاء موسى وهو لا صلة له اطلاقا بعصر ابراهيم والذى يقرأ العهد القديم يرى أن هناك فجوة بين العهدين .. برغم محاولة الكاتب سداد هذه الفجوة .. والدور الموسوى مطبوع بطابع مصرى مما حمل كثيرا من المفكرين أن يستنتجوا من النصوص أن موسى كان مصريا ..

وأن الوصايا جاءت مكتوبة باللغة المصرية ، ومما يؤيد هذا الرأى تشابه « اعتراف الميت أمام الاله أوزيريس والوصايا العشر ..» .

وأقرب الى التصور أن هجرة موسى هى هجرة جماعة من الموحدين وجدت نفسها معرضة للاضطهاد بعد وفاة اخناتون ففضلت الهروب من البلاد والاتجاه نحو الشرق ... وهؤلاء هم قوم موسى،(١١)،أولئك القوم كانوا يتكلمون المصرية . .

وفى العصر الثالث ، بدأ فلول اليهود فى منفاهم ببابل يحررون «التوراة» ويبدوا واضحا جليا لقارىء التوراة أن الهدف الأول الذى رمى إليه المحررون هو تمجيد الزمرة اليهودية التى اصطفاها «الرب» فجعلها شعب الله المختار دون بقية الشعوب المجاورة !!

ولنجاح المخطط كان لابد من ارجاع أصل اليهود الى التاريخ القديم للمنطقة وزاد اليهود فى التحريف ، فوضعوا على لسان إبراهيم ويعقوب ما يثبت فى نظرهم أحقيتهم فى الاستيلاء على أرض الميعاد . .

فى عهد البطالسة أراد اليهود التقرب الى الحكام بصيغ شريعتهم بألوان من الحضارة وكان الغرض الأساسى هو التوفيق بين الثقافة الاغريقية والتعاليم العبرية التى كانت الى ذلك الحين منبوذة لاحتقار شأن شعبها ، فنشر اليهود دعايتهم فى العالم الاغريقى : بأن كل ما أنتجته اليونان ما هو الا تحريف للثقافة اليهودية القديمة ! !

حتى ان فلاسفة اليونان المشهورين ما هم الا تلاميذ العقائد العبرية . !! وكل ما هو حكيم فى مؤلفات الاغريق مصدرة التوراة . .

وادعى اجتهاد المؤرخين ان وجدت فى مصر نسخه من التوراة سابقة بكثير للنسخة التى نشرها السبعون حكيما من اليهود فى عهد البطالسة . . فاقتبس الاغريق من هذا الكتاب كل شئ قيمة فكرية وأضافوه إلى مؤلفاتهم . . » (١٢) ! ! .

وبنفس هذا الأسلوب كان تحرير الكتاب اليهود للعهد القديم ، فقد تعمدوا ابعاد الكنعانيين — وهم سكان فلسطين الأصليين — من الكتلة السامية . .

ويلاحظ حتى يومنا هذا : أن اليهود يحاولون الانفراد بالانتساب للساميه ، فأشاعوا فى العالم — وهم لا تنقصهم وسائل الاعلام ومراكز التأثير — كلمة « اللاسامية » للتعبير عن الاضطهاد الذى تعرضوا له ، وكان الأقرب الى الحقيقة استعمال لفظ « الايهودية » ! ! .

لقد لجأ اليهود منذ السبى البابلى الى تقديم كافة التسهيلات والمساعدات

الى كل القوى التى توارثت السيطرة على هذه المنطقة من الفرس الى الاغريق الى الرومان الى الفرس ثانية ، ثم الى الأتراك فالانجليز وأخيرا وفى هذه المرحلة الى كل من : « الامبريالية » الغربية والماركسية الدولية ! !

ولقد أشركوا الهيم فى هذا الحقد وكأنه ربهم لا رب غيرهم ، فوضعوا على لسان موسى غداة الخروج من حلبه من اليهود افتراض ملابس المصريات وحليهن والهرب بها ! ! .

والعجيب كل العجب أن تلك الخرافات قد غرست جذورها وانتقلت الى المسيحية (١٣) ، وأعادت المسيحية الى الحياة ذكرى موسى ، من جديد برزت شبه الجزيرة فى التاريخ بضوء من النور والتقديس ، وهنا يأتى سؤال: لماذا أدمجت المسيحية تلك العقائد فى تراثها الدينى ؟

لقد كان هناك تيار قوى فى القرون الأولى من المسيحية يطالب بقطع العلاقة بين « العهد القديم » و « العهد الجديد » ، الا أن هذا التيار لم ينتصر بسبب بعض النصوص التى وردت فى الانجيل . .

وازاء هذا الوضع بدأ الاجتهاد يلعب دورا كبيرا فى تفسير بعض النصوص التى وردت فى التوراة تفسيرا يرمى الى اظهارها كرموز منبئة بظهور المسيحية ، ولعبت المسيحية نفسها « باسرائيل الجديدة ، وجعلت من المسيحيين شعب الله المختار الجديد ، وأدمجت المسيحية فى عقائدها الرسالة الموسوية ، وبدأت تعيد الى الذكرى النبى الذى قاد شعب اسرائيل الى أرض الميعاد . .

ومن هنا تحولت سيناء — بعد انتصار المسيحية — الى مكان مقدس يحج اليه المؤمنون ؛ وكانت أول حركة أثبتت أهميتها : هى حركة الرهبنة فى الصحراء .

وقد ساعد على هذه الحركة الاضطهاد الذى لقيه المسيحيون فى البداية على أيدى الاستعمار الرومانى . . وكانت أهم الأماكن التى نزل بها النساك هى : جبال موسى ووادى فيران ووادى الخمـــام شمال مدينة الطور ، ومالبثت شبه الجزيرة أن امتلأت بالرهبان والنساك . وبنت القديسة هيلانة أم الامبراطور قسطنطين (٣٢٣) للرهبان برجين فى نفس المكان المقام عليه اليوم : دير سانت كاترين . . .

وكان منطقيا أن يسلك هؤلاء الزهاد الطريق الذى جاء فى التوراة لمسيرة شعب بنى إسرائيل .

وتجمع كثير من المسيحيين فى منطقة الطور منذ القرن الثالث م ، ونجحت سيناء كموقع لحج المسيحيين بعد أن شجعت ذلك القديسة « هيلانة »

يقول المؤرخ البيزنطى بروكوب : « فى المنطقة التى كانت تسمى بلاد العرب وتسمى الآن فلسطين الثالثة صحراء واسعة بلاماء ولانبات ولا أشجار ويوجد جبل ناء لا يمكن تسلقه إلا بشق الأنفس ، وهو يقرب البحر الأحمر ويسمى « جبل سيناء » ، ويسكن هذا الجبل رهبان ونساك حياتهم كلها مخصصة للعمل والصوم والتفكير فى الآخرة ، وهم يعيشون فى عزلة تامة .

ولما رأى الامبراطور جستنيان أنه ليس باستطاعته أن يمدهم بأية مساعدة — إذ أنهم يزهدون المال وخيرات الدنيا — قرر أن يبنى لهم معبدا باسم السيدة العذراء ، وعلى سفح جبل بنى لهم حصنا وخصص قوة من الجنود لحماية الحصن ، ومنع العرب من تدبير الغزوات وتأمين الطريق إلى فلسطين ، وفى عام ٥٤٥ م ، تم بناء الحصن والمعبد والدير وتغير اسمه سنة ٦٠٠ م إلى دير سانت كاترين . .

سيناء فى ظل الإسلام :

دخل العرب مصر عن طريق الفرما ، وهو الطريق التاريخى ، إذ هو أقدم الطرق بين مصر وسوريا ، فلما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م ، كان الخليفة عمر بن الخطاب قد ألحقه بكتاب وهو فى الطريق ، يقول فيه :

« أن أدركك كتابى هـذا وأنت لم تدخل مصر ، فارجع عنها ، أما أن كنت دخلتها أو شيئا من أرضها فامض وأعلم أنى ممدك » .

فلما قرأ عمرو الكتاب ، سأل من حوله : هل نحن فى أرض مصر أو الشام — وكانوا وقتها فى العريش — فأجابوه : أننا فى أرض مصر ، فقال : « هلموا بنا إذا قياما بأمر الله وأمير المؤمنين » (١٤) .

وجاء فى تقويم البلدان : « حد ديار مصر الشمالى بحر الروم من رفح إلى العريش ممتداً على الجفار إلى الفرما إلى الطينة إلى دمياط إلى ساحل رشيد إلى الاسكندرية إلى ما بين الاسكندرين وبرقة »(١٥) .

لقد دفع الفتح الإسلامى بالعرب المسلمين إلى مصر من العريش ، ثم الفرما ثم بلبيس ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت سيناء كلها محاطه بجيوش المسلمين من كل الجهات ، فهاجر كثير من المسلمين إلى مصر — كما هاجروا إلى العراق والشام وبلاد فارس — وتخلف البعض فى سيناء ، واندمج سكان سيناء مع العرب القادمين فى نظامهم الجديد عن رضا واختيار واقتناع ، بدليل أنه لا توجد فى سيناء أية حصون أو مواقع دفاعية ثبت أن أقامها العرب فى شبه الجزيرة . .

بل ويميل المؤرخون إلى أنه قد وقع امتزاج بين القبائل العربية القادمة وسكان سيناء على اعتبار أنهم من جنس واحد ، ولم تكن هناك أدنى مقاومة

لجيوش لمسلمين الظافرة حتى ولا من الهيئة الوحيدة المنظمة — فى ذلك الوقت فى سيناء — وهى دير سانت كاترين ، حيث لا يوجد فى شبه الجزيرة من المسيحيين سوى رجال الدير والنساك ، أما اليهودية فلم يعتنقها أى بدوى سواء قبل الإسلام أو بعده .

وظلت سيناء بعد الفتح الإسلامى الطريق الأساسى الموصل بين البحر الأحمر والبحر المتوسط . . وقلت قيمتها « الاستراتيجية » لأنها كانت محاطة من كل النواحى بدول اسلامية . . كما ظلت الطريق التجارى الأساسى فضلا عن طريق الحج إلى مكة المكرمة .

* * *

ومنذ فجر التاريخ الإسلامى والعلاقات بين الحكام المسلمين وبين دير سانت كاترين تحكمها تلك الآية القرآنية الكريمة : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون »(١٦)

ولذا نجد أن العرب المسلمين لم يدخلوا أى تغيير فى إدارة الدير ، لكنهم أبقوا عليها ونشروا حمايتهم حول الدير من أعمال السطو التى كان يتعرض لها من قبل البدو أحيانا ، ولم يكن هذا التقليد دينيا فقط . بل كان سياسيا أيضا ، فالدير فى الطريق بين بلاد الشام ومصر وتأمينه كان من مصلحة العرب . . .

وقد سبق للرسول الكريم أن أرسل عددا من الكتب إلى حكام مصر وبيزنطة وبلاد فارس ، ومن الأرجح أن يكون الوفد الذى ذهب برسالة النبى محمد عليه السلام إلى المقوقس فى مصر قد مر بالدير ، كما أنه من المحتمل أن يكون الرهبان قد أرسلوا وفدا للنبى عليه السلام يطلب منه العهد تأمينا للطريق وصيانة للدير ، كذلك من المحتمل أيضا أن يكون النبى ﷺ قد أعطى هذا العهد وأوصى بالرهبان خيرا . .

وفى الدير وثيقة مودعة به قيل أن عليا بن أبى طالب كتبها باسم النبى عليه السلام فى ٣ من المحرم سنة ٢ هـ .

إلا أن هذه الوثيقة ليست الأصل ، ولكن قيل أيضا أن الأصل استولى عليه السلطان سليم أو السلطان سليمان القانونى على حد قول البعض الآخر وأرسلها إلى استانبول ويلاحظ أن تلك النسخة لا تخلو من أخطاء وعبارات ركيكة مما يصعب تصديق صحتها .

والذى يهمنا فى هذا الصدد ليس مدى صحة عباراتها ، بل اعتبار مضمونها تقليدا مقدسا فى الإسلام لحكم العلاقات بين الدير وبين السلطة الحاكمة ، فالوثيقة ناطقة برغبة العرب فى استمرار الدير قائما بوظيفته الأساسية التى حكمت علاقاته مع السلطة المسيحية منذ عهد جستنيان ..

وقد رأينا أن نثبت نص هذه الوثيقة فى نهاية البحث ، وبالرغم من أننا نتحفظ بالنسبة إلى صحتها من الناحية التاريخية ، لأنها ذات أثر عميق ، فقد احترمت على مر الأجيال وكأنها صحيحة ! ! لقد أنكر بعض الباحثين هذه الوثيقة وأنكر صدورها عن النبى عليه السلام ولهم فى ذلك مبرراتهم المقبولة :

فأسلوبها يختلف عن الأسلوب الذى كان سائدا فى عصر النبوة ، كما أن صياغة تراكيبها وألفاظها لم تكن مألوفة حينئذ . . . يضاف إلى ذلك أن الوثيقة ذكر أنها مؤرخة فى السنة الثانية للهجرة مع أن الهجرة لم يؤرخ لها إلا بعد وفاة النبى بسبع سنين .

كذلك هناك من الشهود الذين وقعوا على الوثيقة يصعب علينا تصديق توقيعهم عليها . .

فأبو هريرة وأبو الدرداء مثلا لم يكونا قد اعتنقا الإسلام بعد فى السنة الثانية للهجرة .

إلا أنه بالرغم من قوة تلك الحجج فقد نفذت نصوصها كأنها صحيحة ، على أنه يمكن أن يقال : أنه ليس من المستحيل أن تكون تلك الوثيقة مشمولة فى العهد الذى أعطاه النبى أهل آيلة .

ذكر ابن إسحاق: « فلما انتهى رسول الله (ﷺ) إلى تبوك أتاه تحية ابن رؤية صاحب آيلة فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتاباً فهو عندهم : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا آمنه (لعلها أمان) من الله ومحمد النبى ورسوله لتحية بن رؤية (ولعل الاسم تحريف ليوحنا بن رؤية) وأهل آيلة وأساقفتهم وسائرهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لايحول ماله دون نفسه وأنه طيب لم أخذه من الناس ، وأنه لايحل أن يمنعوا مايريدونه ولا طريقاً يريدونه من بر وبحر ... » .

ومن الملاحظ أن هناك أوامر من العهد الفاطمى تؤكد على حكام العقبة ضرورة ماجاء بالوثيقة بكل أمانة ، ومن بينها الأمر الصادر من الخليفة الفاطمى الحافظ (٥٤٤ — ٥٢٦) بضرورة تنفيذ العهود القديمة الخاصة برهبان دير طور سيناء .

ولم يظهر حتى الآن أنه عثر على أى شىء يدل على صحة الوثيقة، ولكن ذلك ، لايمنع الترجيح بأن مثل هذا العهد قد يكون له أصل تاريخى لتمشيه من كل الجوانب مع التقليد الإسلامى منذ أقدم العصور ، فضلا عن تمشيه مع النصوص الواردة فى القرآن ومع تطبيقه واحترامه من جانب الحكام المسلمين..... إن بقاء الدير طوال العصور بالرغم من الغزوات والانقلابات التى مزقت الإسلام لهو مثال أظنه فريداً فى نوعه لروح التسامح التى سادت وحكمت العلاقات الإنسانية فى هذا الطريق الذى يربط القارات ببعضها

ببعض ، كما يربط الأديان فى تضامن يرجع بلا شك إلى وحدة التراث العقائدى » . (١٧)

* * *

وقع الغزو الصليبى للمنطقة وأنشئت بعض الإمارات الصليبية فى الشام وفلسطين ، وهنا برزت أهمية سيناء « الإستراتيجية » كحصن ضد الغزاة ، وتوطدت العلاقات بين حكام مصر وبين رجال الدير ، وفى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى أنشىء بداخل الدير جامع ، وتم بناؤه فعلا ، ويقال أن هذا الجامع بناه الفاطميون بدلا عن الجامع الذى كان قد بنى بأمر عمرو بن العاص . . وبوجه عام لعبت سيناء دوراً حيوياً فى الدفاع عن مصر أثناء الهجمات الصليبية ... واستمر ولاء رجال الدير للحكام المسلمين بالرغم من الشكل الدينى الذى اتخذته الحروب الصليبية . . . ، ولم يشجع الرهبان أى حج من جانب الصليبيين إلى الدير ، ففى عام ١١١٦ م طلب « بودوان » الأول بعد إخضاعه للقدس من رهبان الدير السماح له بزيارته والتبرك به ، ولكن رئيس الدير رفض راجياً « بودوان » ألا يعبر الصور حتى لا يثير على الدير نقمه حكام مصر . . . وتتحدث الروايات التاريخية عن اعتماد الفاطميين اعتماداً كلياً على ولاء رهبان الدير .. وهكذا كان هذا الحصن المسيحى يدافع عن مصر الإسلامية ضد غزو اتخذ من المسيحية شكلا دينياً ! !

وثبت للصليبيين صعوبة دخول مصر عن طريق سيناء ، مما حملهم على الإلتجاء إلى الغزو عن طريق البحر ، وكانت خطة الصليبيين من وراء تلك الحملات واضحة وهى أنه لا يمكن أن يستتب لهم الأمر فى فلسطين دون إرضاخ مصر ، وقد عبر أحد قادتهم عن هذه السياسة قائلا : « إن مفتاح القدس هو فى مصر أى أن هزيمة مصر وحدها هى الوسيلة التى تؤمن لهم استمرار سيطرتهم على الشام وفلسطين ... » ، ولا شك أن هذه

السياسة هى التى يطبقها اليهود فى هذه المرحلة الخطيرة التى تمر بها المنطقة العربية .

وفى عام ١١١٦ م عبر « بودوان » سيناء واستولى على مدينة أيلة وشيد بها قلعة ، إلا أن عبد الله الجعفرى ومعه جماعة من بنى الجراح استولى عليها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار ثم حرقها (أى القلعة) .

وجاء صلاح الدين سنة ١١٧٠ م فاستولى على أيلة وعلى ماتبقى من القلعة وفى هذا الصدد ذكر القاضى الفاضل : « أن الملك الناصر صلاح الدين أنشأ المراكب وحملها على الجمال وسار بها من القاهرة لمحاربة قلعة أيلة ، فنزلها فى ربيع الأول سنة ٥٦٦ هـ ، وأصلح المراكب فى البحر وشحنها بالأسلحة والرجال واستطاع أن يفتح القلعة فى ٢٠ من ربيع الآخر ... بعد أن قتل فيها من الفرنج وأسر ... وأسكن بها جماعة من ثقاته ومنحهم مايحتاجونه من سلاح ومال .. » .

استمر صلاح الدين — بعد أن حقق هذا النصر — فى استرداد سائر المواقع المهددة فى سيناء وحصنها ، وأعاد أيلة مركزاً لاستقبال الحجيج الذاهبين إلى مكة المكرمة ، كما أعاد ترميم طريق العريش بعد تخريبه سنة ١١٦٥ م ، وأقام عدداً من القلاع فى : عين سدر ووادى الراحة والعقبة ، ومازال جزء من قلعة « الجندى » التى أقامها بالقرب من عين سدر فى حالة جيدة حتى هذه الأيام وعلى مدخل القلعة كتبت هذه العبارات : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد خلد الله ملك مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين الملك يوسف ... العادل الناصرى — فى جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ أغسطس سنة ١١٨٧ م ، وفى الجهة الجنوبية من القلعة أقام صلاح الدين الأيوبى جامعين وصهريجاً للمياه .. وقد أثارت تلك القلعة إعجاب كل من مر بجانبها أو زارها نظرا لتوازن أحجامها وجمال هندستها وهى تعتبر صورة معبرة عن الفن العربى الذى انتشر فى القرون الوسطى .

ولما قامت دولة المماليك فى مصر استطاعت القضاء نهائياً على الوجود الصليبى فى المنطقة وأمتد نفوذها إلى الشام وفلسطين ، وعادت سيناء محاطة من كل جانب بممتلكات إسلامية ...

وعادت أهميتها كطريق للحج والتجارة، وقد ساعد على انتشار الأعمال التجارية الروح السائدة بعد نهاية عهد العقلية الصليبية ، إذ رئى الإستغناء عن الحرب ، وبدأت العلاقات تتوطد بين مصر والبندقية واستمر التعاون قائماً طوال العصر المملوكى ، فأصبحت الإسكندرية ودمياط وبيروت والقاهرة ودمشق وحلب تستورد من أوربا الأخشاب والمعادن والزيوت والجلود والأصواف والمنسوجات وغيرها، كما كانت تصدر الشبة من حلب والعنبر من المحيط الهندى ولبان جاوى والنشادر من صوماطرة والقرفة والقطن من الهند والتسليم من مصر . ..

وكانت البندقية تتبادل مع مصر السفارات كما كان فى الإسكندرية ودمياط ورشيد مقراً ثابتاً لممثلى (قناصل) البندقية فى تلك المدن . ونظراً لأن أوربا كانت تغطى فرق واردتها وصادراتها نقداً بالذهب ، فقد تدفقت على مصر والشام الخيرات الكثيرة .

كان تجار الهند لا يتعدون (عدن) حيث يبيعون منتجاتهم إلى تجار من العرب المصريين ، ومن عدن كانت تنقل البضائع على سفن مصرية عبر البحر الأحمر حتى تصل إلى القصير أو عيذاب ، ومن هناك إلى قوص ، ثم ترسل عبر النيل إلى موانى الإسكندرية أو دمياط أو رشيد .

على أن هذا الطريق لم يدم طويلا، إذ لم يلبث أن أهمل وحلت (الطور) محل القصير ، كما حلت جدة محل عدن ... وكانت الحجاز وقتها داخلة فى النفوذ المملوكى .

كانت قوافل السفن تصل إلى الطور مرتين فى السنة : فى سبتمبر

وفى مارس، مما أدى بسفن أوربا أن ترتب سفر قوافلها البحرية إلى الموانى المصرية وفقاً لبرنامج دخول القوافل البحرية إلى الموانى المصريه وفقا لبرنامج دخول القوافل البحرية إلى الطور ...

وفى عهـد المماليك الشراكسة، ظهرت ميناء السويس كموقع تجارى، وعسكرى ويرجع ذلك إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح الذى أدى إلى سقوط الإمبراطورية ... إذ حاول المماليك محاربة البرتغال الذين حولوا طريق التجارة إلى المحيط الأطلسى وأنشأوا لهم مستعمرات فى الأراضى الهندية ولـكن تدهور الإقتصاد المصرى والفوضى الداخلية الناتجة عن ذلك أدى إلى سقوط مصر فى أيدى الأتراك.

وقد وجه السلطان الغورى أهتمامه إلى طريق البر عبر سيناء، فعمر مراكز الحج وأنشأ الجوامع والإستراحات وحفـر منابع للمياه فى هـذا الطريق.

فـكانت القافلة تخرج من القاهرة لتجد أول محطة لها فى «بركة الحاج» «حدائق القبة الآن»، ثم قلعة «عجرود» غربى السويس ... ثم «النواطير» فى بر سيناء، ثم «بئر القريض» ونقب «دبة البغلة» ونقب «العقبة»، وقلعة «آيلة»، فإذا ما وصلت القافلة بر الحجاز على الشاطىء الشرقى، وجدت قلعة «المويلح» فبرج «ضيساء الوجه» فقلعة ينبع وفى داخل بر الحجاز «رابغ» ....

وقـد وضع الملك الظاهر تقـاليد أرسال المحمل إلى مكة مقراً بذلك مسئولية مصر عن الأماكن المقدسة .. وظل هذا الإحتفال قائماً حتى ألغاء الإحتفال بالمحمل سنة ١٩٥٢ م.

ولم يبق فى نقب دبة البغلة من أثر سوى الـكتابة الآتية منقوشة على صخرات: «بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله

ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما ، وينصرك الله نصراً عزيزا ... رسم بقطع هذا الجبل السمى « عراقيل البغلة ومهد طريق المسلمين الحجاج لبيت الله تعالى .. وعمار مكة المكرمة والمدينة الشريفة والمناهل بعجرود ونخل وقطع الجهل وعقبة أيلة وعمار القلعة والآبار والأزلم والموشحة ومغارب نبط الفساقى وطرق الحاج الشريفة مولانا المقام الشريف والإمام الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين الملك الأشرف أبو النصر قنصوة الغورى نصره الله نصراً عزيزاً » ...

وفى وادى القريص على بعد ستين كيلو متراً من نخل بئر كانت محطة للحجاج يبيتون فيها عند خروجهم من نخل وتعرف هذه البئر باسم بئر أبو محمد نسبة إلى الشيخ أبى محمد الجوهرى المدفون هناك ، وعلى درب الحج المصرى قرب مفرق الطريق إلى بئر التد رجم كبير من الحجارة عرف برجم « الولى المفسود ».

ومن عادات البدو أن يرشقوا الرجم بالحجارة ويقولو : « أخا يالملعون الوالدين ، وكانت مدينة نخل تسمى بطن نخل ، وذكرها أبو عبيد البكرى ، السلطان قنصوة الغورى على يد الأمير الكبير خير بك المعمار أحد المقدمين وبها أنشأ سنة ٩١٥ هـ ، وقد وسع الخان فى العصر التركى .

وإذا ما وصلت القافلة إلى منطقة العقبة الجبلية وجدت طريقاً مهده ملوك مصر فى الجبل المطل على مدينة العقبة ، وسمى الوادى الذى يصب قرب مصب « طابا » بالوادى المصرى .

والطريق الذى شيده السلاطين متعرج ومنحدر وبه خرائب بها بعض الأحجار مكتوب عليها ما يثبت أن الذى أمر برسم الطريق السلطان قانصوة الغورى ...

وفى العقبة نجد أيضاً آثار السلطان الغورى ومنها قلعة العقبة التى كتب على أحد جدرانها : « أمر بإنشائها السلطان قانصوة الغورى سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والملحدين محيى العدل فى العالمين » .

وكانت قافلة الحج التى تعبر شبه الجزيرة خاضعة لإدارة محكمة على رأسها أمير يدعى : أمير الحج وقوة عسكرية لمنع السلب والنهب وقد بدأ هذا التنظيم السلطان بيبرس .

وكان بعض الحجاج يجمعون بين الفريضة الدينية والأعمال التجارية مما دفع المماليك إلى أخضاع هؤلاء للتفتيش الجمركى وتحصيل رسوم تصل إلى ١٠٪ . . .

وكان المماليك يدفعون لشرفاء مكة الأعطياء فى كل عام إعانة من مصر إلى الحجاز ، حتى أن السلطان قلاوون خصص إيراد بعض القرى المصرية والسورية لصالح شريف مكة ، هذا بخلاف ما كان يوزعه أمير الحج على الشريف وعلى كبار رجال الحجاز من المنح ولا يخفى على الباحث أن الحجاز كان خاضعاً — كما سبق أن قلنا — لحكم المماليك . . .

وإذا علمنا أن عدد الحجيج الذين كانوا يعبرون سيناء يتراوح بين خمسين ألفا وثلاثمائة ألف لكان هذا دليلا على مقدار النشاط الذى كان يجرى على أرضها وعلى أهتمام السلاطين المماليك بشئونها . .

كان العلم المصرى — ولونه أصفر — يرفع على فوق المحمل ، وكانت العلاقات بين الحجاز ومصر مبنية على : اضطرار شرفاء مكة إلى المعونة المصرية . . .

ومع ذلك كان فى استطاعتهم أثارة المتاعب أمام السيادة الخارجية والإبقاء على نوع من الإستقلال الذاتى . .

إلا أن السلطان قلاوون استطاع أن يوقع مع شريف مكة معاهدة تعهد فيها الأخير : بأن يعلق على الكعبة الكسوة الشرعية المرسلة من مصر فقط دون غيرها ، وألا يذكر فى الخطبة إلا أسم السلطان المصرى ، وأن يكون العلم المصرى فى طليعة الأعلام الأخرى .

وقد ساعد على ذلك أنتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة ، وظلت الأوضاع على ذلك حتى جاء السلطان سليم إلى مصر ونقل مقر الخلافة إلى القسطنطينية ولقب نفسه بخليفة المسلمين .

المنصورة فى سبتمبر ١٩٨٣

د . أحمد الحفناوى
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

ملحق

نص الوثيقة التى يجب التحفظ بالنسبة لصحتها من الناحية التاريخية ، وفى نفس الوقت اعتبارها ذات أثر عميق لأنها احترمت على مر الأجيال وكأنها صحيحة :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

نسخة سجل العهـــد كتبه محمد بن عبد الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى كافة النصارى

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين بشيراً ونذيراً مؤتمناً على وديعة الله فى خلقه ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيما . كتبه لأهل ملته ولجميع من ينتحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها ، قريبها وبعيدها ، فصيحها وعجميها ، معروفها ومجهولها كتاباً جعله لهم عهداً ، فمن نكث العهد الذى فيه وخالفه إلى غيره ، وتعدى ما أمره كان لعهد الله ناكثاً ، لميثاقه ناقضاً ، وبدينه مستهزياً ، وللعنة مستوجباً . سلطاناً كان أم غيره من المسلمين المؤمنين .

وإن احتمى راهب أو سائح فى جبل أو واد أو مغارة أو عمدان أو سهل أو رمل أو ردئة أو بيعة ، فأنا أكون من ورايهم ذاب عنهم من كل عدة لها بنفسى وأعوانى وأهل ملتى وأتباعى لأنهم رعيتى وأهل ملتى وأنا أعزل عنهم الأذى فى المؤن التى يحمل أهل العهد فى القيام بالخارج إلا ما طابت به نفوسهم ، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شىء من ذلك ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا يهدم بيت من بيوت كنايسهم وبيعهم ، ولا يدخل من مال كنايسهم فى بناء مسجد ، ولا فى منازل المسلمين ، فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وخلف

رسوله ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من بعد جزية ولا غرامة وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من بر وبحر فى المشرق والمغرب والشمال والجنوب، وهم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كل مكروه، وكذلك من ينفرد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعوه لا خراج ولا عشر، ولا يشاطرون لكونه برسم أفواههم، ويعانوا عند إدراك الغلة باطلاق قدح واحد من كل أردب برسم أفواههم، ولا يلزموا بخروج فى حرب ولا قيام بجزية ولا من أصحاب الخراج وذوى الأموال والعقارات والتجارات مما أكثر من اثنتى عشر درهم بالجمعة فى كل عام، ولا يكلف أحد منهم شططاً، ولا يجادلوا إلا بالتى هى أحسن، نخفض لهم جناح الرحمة ونكف عنهم أدب المكروه حيثما كانوا وحيثما حلوا، وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعليه برضاها وتمكينها من الصلاة فى بيعها ولا تحيل بينها وبين هدى دينها، ومن خالف عهـــد الله واعتمد بالضد من ذلك، فقد عصى ميثاقه ورسوله، وبعاونوا على مرمة بيعهم وصوامعهم، ويكون ذلك معونة لهم على دينهم دفعاً لهم بالعهد ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح، بل المسلمون يذبون عنهم ولا يخالفون هذا العهد أبداً إلى حين تقوم الساعة وتنقضى الدنيا .

وشهد بهذا العهد الذى كتبه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ لجميع النصارى والوفاء بجميع ماشرط لهم عليه إن أثبت اسمه وشهادته آخره .

على بن أبى طالب	أبو بكر بن أبى قحافة
عمر بن الخطاب	عثمان بن عفان
أبو الدرداء	أبو هريرة
عبد الله بن مسعود	العباس بن عبد المطلب
فضيل بن اعباس	الزبير بن العوام
طلحة بن عبد الله	سعد بن معاذ

سعد بن عبادة	ثابت بن نفيس
زيد بن ثابت	حنيفة بن عبية
هاشم بن عبية	معظم بن قرشى
حارث بن ثابت	عبد العظيم بن حسن
عبد الله بن عمرو بن العاص	عار بن ياين

« و كتب على بن أبى طالب بخطه فى مسجد النبى ﷺ بتاريخ الثالث من المحرم ثانى سنى الهجرة وأودعت نسخته فى خزانة سلطان وختم بخاتم النبى وهو مكتوب فى جلد أديم طابق فطوبى لمن عمل به و بشروطه ثم طوباه وهو عند الله من الراجين عفو ربه والسلام » .

« وفى الأصل المنقول منه هذه النسخة المتوجة بالنشان الشريف السلطانى ماصورته نقلت هذه النسخة من النسخة التى نقلت إلى النسخة المنقولة من النسخة الكاينة بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالأمر الشريف السلطانى لازال نافذاً بعون المعين السبحانى ، ووضعت فى أيدى طايفة الرهبان القاطنين بجبل طور سيناء لكون النسخة المنقولة من النسخة الكاينة بخط أمير المؤمنين باقية وليكون سنداً على ما يشهد به المراسيم السلطانية والمربعات الخنكارية والسجلات التى فى أيدى الطايفة المذكورة » .

« تمت وسطرت هذه النسخة فى ثانى رجب الموجب ٩٦٨ » .

* * *

المصادر والمراجع

١ — إبراهيم أمين ، سيناء المصرية ص ١٣

٢ — نعوم شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث ص ١٥

٣ — ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله ابن أحمد) ت حوالى ٣٠٠ هـ . « المسالك والممالك » مجلد ٦ ط لندن سنة ١٨٨٩ م .

— ابن حوقل (أبو القاسم محمد) ٣٦٧ هـ ، « كتاب صورة الأرض » لندن ١٩٣٨ م .

— المسعودى (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ج ١ ص ١٨٨ ط ١٣٤٦ هـ .

— ابن إياس : (محمد بن أحمد) ٩٢٨ هـ ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور القاهرة ١٣١١ هـ .

— الادريسى : (أبو عبد الله محمد) ت ٥٦٠ هـ ، « صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » . مختصر من كتاب « نزهة المشتاق » ليدن ١٨٦٦ م .

— ابن جبير ، الرحلة ط لندن .

— الدمشقى : شيخ الربوة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى) ت ٧٢٧ هـ ، « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ط ١٩٢٣ م .

— ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى) ت ٦٢٦ هـ ، « معجم البلدان » ١٠ أجزاء ط ١٩٠٦ م .

٤ — إبراهيم أمين : المرجع السابق ص ١٨

٥ — أبو الفدا : (السلطان عماد الدين اسماعيل صاحب حماة) ت ٧٣٢ هـ ، « تقويم البلدان » باريس ١٨٤٠ م .

— ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد) ت٨٠٨ هـ ، « العبر وديوان المبتدأ والخبر » القاهرة ٢٨٤ هـ .

٦ — أنظر المصادر والمراجع رقم ٣

٧ — أشعيا النبى ١٢/٢٧

٨ — نعوم شقير : المرجع السابق : ص ٨٧

٩ — إبراهيم أمين : نفس المرجع ص ٤٤

١٠ — أنظر إبراهيم أمين : نفس المرجع ص ١٠٩ ، نقلا عن الكيس مالون : اليهود فى مصر .

١١ — أحمد سوسه : (دكتور) ، « العرب واليهود فى التاريخ » ص ١٥٥

١٢ ، ١٣ إبراهيم أمين : نفس المرجع : ص ١٠٥

١٤ — ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى) ٢٥٧ هـ ، « فتح مصر وأخبارها » ص ١٧٦ لندن ١٩٢٠ م .

١٥ — أبو الفدا : المرجع السابق .

١٦ — سورة المائدة آية رقم ٨٢

١٧ — إبراهيم أمين : نفس المرجع : ص ١٦٦

* * *